... فَهو هَادي كلّ حَيْران...

وفي السنة الثامنة للهجرة ، وقبيل فتح مكة المكرمة حدثت هذه الحادثة الرائعة ، والتي فيها من المواعظ والحكم الشيء الكثير :

عن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه ، قال: بعثني رسول الله ﷺ والزبير بن العوّام وأبا مرثد الغنويّ ، وكلّنا فارسٌ ، فقال: «انطلقوا حتىٰ تأتوا روضة خاخ ، فإن بها امرأةً من المشركين معها صحيفة من حاطب بن أبي بلتعة إلىٰ المشركين».

قال: فأدركناها تسير علىٰ جَمَل لها حيث قال لنا رسول الله ﷺ.

قال: قلنا: أين الكتاب الذي معك؟ قالت: ما معي كتابٌ ، فأنخنا بها فابتغينا في رحلها فما وجدنا شيئاً ، قال صاحبايَ: ما نرىٰ كتاباً ، قال: قلتُ: لقد علمتُ ما كذب رسول الله ﷺ ، والذي يُحلف به لتُخرجنّ الكتاب أو لأجردنّك.

قال: فلما رأت الجدَّ منّي أهوَتْ بيدها إلىٰ حُجزتها ، وهي محتجزةٌ بكساءٍ ، فأخرجت الكتاب!

قال: فانطلقنا به إلىٰ رسول الله ﷺ ، فقال: «ما حملكَ يا حاطب علىٰ ما صنعتَ؟».

قال: ما بي إلاّ أن أكون مؤمناً بالله ورسوله ، وما غيّرتُ ولا بدّلتُ ، أردتُ أن تكون لي عند القوم يدٌ يدفع الله بها عن أهلي ومالي ، وليس من أصحابك هناك إلاّ وله من يدفع الله به عن أهله وماله.

فقال صلوات الله عليه: «صَدَق ، فلا تقولوا له إلاّ خيراً».

قال: فقال عمر رضي الله عنه: إنه قد خان الله ورسوله والمؤمنين، فدعني أضرب عُنقه، قال: فقال: «يا عمر، وما يدريك لعل الله قد اطّلع علىٰ أهل بدرٍ فقال: اعملوا ما شئتم فقد وَجَبَتْ لكم الجنّة».

قال: فدمعت عينا عمر وقال: الله ورسوله أعلم[1].

أجل يا سيدي يا رسول الله!.

ما أروع حرصك علىٰ أتباعك، وما أجمل دفاعك عنهم، كيف لا؟ وأنت الهداية إلىٰ نور الحق، فصلوات الله وتسليماته عليك يا خير المرسلين:

هـدايـة الله فـي الـدنيـا وخيـرتُـهُ ... مـن خلقـه فهـو هـادي كُـلِّ حيـرانِ
فـي أمـةٍ كـان هـاديهـا وليـس لهـا ... إلاّ عبـــادةُ أصنـــامٍ وأوثـــانِ
لـم يُبـقِ للشّـرك عـزّاً يطمئـن بـه ... ولا نصيـراً لـذي بغـيٍ وعـدوانِ
وأصبحـت ملّـة الإسـلام ظـاهـرةً ... بـالحـق فـالنـاس فـي يمـنٍ وإيمـانِ
وبـدّل الغـيَّ رشـداً والضـلال هـدىً ... في الأرض والدّين فرداً بعد أديانِ

* * *

(١) صحيح البخاري: ٨/ ٧١.